

تاريخ ممارسة وتدريس الطب في العالم العربي

دكتور مأمون شقفة - دبي

القسم الثاني - القسم الأول نشر في العدد ٢٠٠١/١ صفحة ٢٥

جهود التعريب المتواضعة في كلية دبي الطبية للبنات

أنشئت كلية دبي الطبية عام ١٩٨٦ بمبادرة خاصة في مدينة دبي. وقامت دائرة الصحة والخدمات الطبية باستيعاب مرحلتها السريرية في مستشفيات الدائرة ومؤسساتها التعليمية منذ عام ١٩٨٨. يقوم التدريس بالكلية باللغة الانجليزية وتدرس فيها مادة خاصة تسمى مادة الطب الاسلامي، وتحتوي هذه المادة على تعليم اللغة العربية الطبية بحيث يمكن للطالبة أن تلم بها إماما ما يزال متواضعا، وقد كتبت لذلك كراسة سميت «تعريب الطب».

مجلس وزراء الصحة العربي

يقوم مجلس وزراء الصحة العرب بإصدار التوصيات والجهود المشكورة باتجاه التعريب، وقد صدر المعجم الطبي الموحد عن هذا المجلس بالاشتراك مع اتحاد الأطباء العرب ومنظمة الصحة العالمية والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. وذلك يعتبر المعجم الأكثر حظاً، والواجب إتباعه في جهود التعريب حتى لا يختلط الأمر على الأطباء والمتعلمين باصطلاحات طبية مختلفة بين مدرسة واخرى. وقد قام مجلس وزراء الصحة باصدار قراره رقم (٢٠) بدورته الثالثة المنعقدة في الكويت ١٩٧٨ بتأسيس المجلس العربي للاختصاصات الطبية (البورد العربي) والذي قام منذ ذلك الحين بتشكيل مجالس علمية لكل الاختصاصات الطبية وذلك بغرض تدريب الأطباء ومنحهم شهادات اختصاص تقف على قدم المساوات مع الشهادات الاختصاصية العالمية، وتكون الامتحانات باللغة العربية أو احدى اللغتين الانجليزية أو الفرنسية، وقد كان لهذا المجلس دور كبير في تعريب وتطوير الدراسات العليا الطبية..

المنظمة الاسلامية للعلوم الطبية

قامت هذه المنظمة في دولة الكويت وعقدت مؤتمرها الأول عام ١٩٨١، وأصدرت كتابين أحدهما بالعربية والآخر بالانجليزية، يحتوي كل منهما كل المحاضرات والمداولات خلال المؤتمر.

وتكررت المؤتمرات الطبية الاسلامية بإشراف هذه المنظمة عدة مرات وتكرر إصدار الكتب بالعربية والانجليزية بعد كل مؤتمر كما قامت المنظمة باصدارات أخرى تغطي أهم ما يشغل فكر الطبي المسلم كتعريف بداية الحياة الانسانية

ونهايتها وكالرؤية الاسلامية لبعض المسائل الطبية، وكالانجاب في ضوء الاسلام وكلها بالعربية. كما أصدرت العديد من الكتب والكتيبات بالانجليزية ولعل من أهم اصداراتها كتاب الدستور السلامي للمهنة الطبية الذي صدر في عام ١٩٨١ عن المؤتمر العالمي الأول للطب الاسلامي باللغتين العربية والانجليزية وسمي «وثيقة الكويت»
Kuwait Document

اتحادات الأطباء العرب

ساهم اتحاد الأطباء العرب في إصدار المعجم الطبي الموحد وقام اتحاد الأطباء العرب في أوروبا بنشاط كبير في جهود التعريب حيث يعقد مؤتمرا سنويا في إحدى المدن الأوروبية يحضره الاطباء في مختلف الدول الأوروبية فيحاضرون ويناقشون باللغة العربية، واذا لم يتمكن احدهم من ذلك وقدم محاضرة قيمة بغير العربية فانها تترجم ترجمة فورية الى اللغة العربية. وقد أصدر هذا الاتحاد مجلة طبية دورية باللغة العربية، وربما اشتملت بعض المقالات باللغات الأخرى.

الروابط العربية للاختصاصات الطبية

تقوم في كل دولة عربية جمعية اختصاصية لأطباء تلك الدولة من اختصاص معين، وتتحد هذه الجمعيات برابطة عربية عامة كالرابطة العربية لجمعيات اختصاصي الولادة وأمراض النساء، ومن مثلها الروابط العربية لكل الاختصاصات.

تقوم هذه الروابط بتنظيم مؤتمرات سنوية تلم شمل الاختصاص في العالم العربي وتقدم فيها الابحاث باللغة العربية بصورة رئيسية بحيث يمكن للأطباء العرب أن يتخاطبوا مع بعضهم البعض باللغة العربية الى جانب اللغات الأخرى التي درسوا ونشأوا عليها.

المجلات الطبية التي تعني بالعربية

تصدر في دمشق عن نقابة أطباء سورية المجلة الطبية العربية منذ زمن طويل، ومن المؤسف أن المجلات الأخرى في العالم العربي تصدر بلغات أجنبية فيما عدا مجلات صغيرة محلية كمجلة مستشفى الوصل مثلا بدبي وبعض المجلات في بعض المؤسسات الأخرى.

نتائج إهمال اللغة العربية في التعليم الطبي

وقد نتج عن ذلك ظهور أجيال من الاطباء لا تستطيع التخاطب مع عامة المرضى، وتعتمد بالكامل على



تستعمل كل جمهورية فيها لغتها الأم في التعليم العالي. هذا ومن الجدير بالذكر أن الطب يدرس غالباً بالعربية في الأرض المحتلة.

يكاد العالم ينقسم في هذا الى منطقة الانجليزية وتشمل الدول التي سميت بدول الكومنولث ومنها الهند والباكستان، كما ان معظم الشرق العربي يستعمل الانجليزية الطبية، والى منطقة الفرنسية التي انشئت لها منظمة الفرنكفونية، وتعتبر دولنا العربية في الشمال الافريقي من الدول التي تدرس الطب بالفرنسية.

والعرب أمة كبيرة لو اجتمعت على تحويل التعليم العالي عموماً بما فيه الطب الى العربية لسابقت العالم بالتطور العلمي والاكتشافات ونشر الكتب والمجلات.

كيف ندخل العربية في التعليم الطبي؟

اذا اقتنعنا بضرورة عدم التخلي عن لغتنا في التعليم الطبي فلا بد من مراعاة الأمور التالية:

- ١) لا بد من قناعة كل دولة عربية بذلك واتخاذ قرار سياسي ملزم له صفة القانون بتعريب التعليم العالي والطبي
- ٢) لا بد من تحضير الكوادر التدريسية والاستفادة من التجربة السورية ودراستها بعمق ولا بد من كتابة الطب ابتداءً باللغة العربية كما فعل الرعيل السوري الأول وليس فقط ترجمته من اللغات الأخرى.
- ٣) ولا بد من توظيف اللغة العربية في الحياة العامة في كل المجالات وفي عموم العالم العربي والامتناع عن المراسلات باللغات الأخرى. وهنا نذكر دور وسائل الاعلام المختلفة التي تنشر العربية بين الناس والتي يتوجب عليها ان تستوثق من سلامة اللغة العربية التي تستعملها.
- ٤) ولا بد من اعداد ونشر الكثير من الكتب والدوريات الطبية بالعربية مع ملخصات أجنبية، ولا بد من ادخال الملخصات العربية بشكل ملزم على كل ما ينشر بلغة أجنبية.
- ٥) ولا بد من تعريب التمريض بالكامل والاكثار من مدارس التمريض والقابلة في العالم العربي وباللغة العربية الصرفة مع القليل الذي لا بد منه من لغة أجنبية.
- ٦) واعترافاً بصعوبة ذلك في الوقت الحاضر فلا بد من الاستمرار في اعتماد لغة ثانية (كالانجليزية في منطقتنا) مع العربية كضرورة لا بد منها في المستقبل المنظور.

واعتقد أن الحل الأمثل حالياً هو التعليم الطبي باللغتين العربية والانجليزية، بحيث تغلب العربية تدريجياً على الانجليزية.

وربما كان من المفيد وضع جدول زمني لهذه التطورات باتجاه التعريب، واعتقد انه اذا وجد القرار السياسي الملزم في دولة ما فإن مدة ١٠-١٥ سنة تعتبر معقولة لتنفيذ هذه الخطى.

التكنولوجيا للتشخيص والعلاج، ونرى كثيراً منهم في برامج العيادات الطبية في المحطات التلفزيونية يتلجلجون باللغة العربية تلجج عربي مبتدئ بتعلم لغة أجنبية الى حد يثير الضحك أحياناً والأسف أحياناً أخرى. كما أن من الملاحظ ندرة الأطباء العرب القادرين على تقديم خبرات طبية في المحاكم العربية أو كتابة تقارير طبية بالعربية. وقد أدى ذلك الى الدخول في حلقة مفرغة، فمزيد من الضعف في العربية يؤدي الى مزيد من الاندفاع نحو التعريب، وهذا يؤدي بدوره الى مزيد من الضعف في اللغة العربية.

وقد انعدم تماماً كما ذكرت التواصل بين أطباء المشرق العربي الذين تعلموا وأتقنوا الانجليزية وأطباء المغرب العربي الذين أجادوا الفرنسية، والأطباء الذين درسوا وأتقنوا العربية الطبية، اللهم إلا التقوا في مؤتمرات تنطق باللغة العربية كالتى تنظمها روابط الاختصاصات المختلفة أو اتحاد الأطباء العرب.

أهمية العودة الى تعريب الطب

ان ما يقال عن الانقطاع عن الجو العلمي العالمي وعن أن المصطلحات الطبية الحاضرة ليست في الحقيقة من انتاجنا بل هي انتاج غربي، وان أطباءنا مضطرون للاختصاص في المؤسسات العلمية الغربية، وان الأدب الطبي المعاصر كله تقريباً باللغات الأجنبية لا يكفي ليكون سبباً لانسلاخنا من لغتنا تماماً كما هو قائم حالياً.

وان عودتنا الى تعريب الطب ستؤدي بالضرورة الى الحفاظ على هوية الأمة رعتها وستجبر الاساتذة والطلاب على الدرس والتطور العلمي وعدم الاكتفاء بالمراجع الجاهزة، وستخرج أطباء تستطيع التخاطب مع المجتمعات العربية في أرجاء الوطن العربي الكبير. وستتيح الامكانيات لعقد مؤتمرات عربية شاملة ولاصدار دوريات علمية عربية كافية في مختلف الاختصاصات آخذين بعين الاعتبار الحقيقة التي لا مرأى فيها وهي أن الابداع لا يكون الا باللغة الأم وان التبعية اللغوية للأخرين لا تتيح لنا الا ان نبقى في موقع التبعية.

لنتذكر دائماً ان ٨٠٪ من دول العالم صغيرها وكبيرها تدرس الطب بلغاتها القومية ولنضرب على ذلك بعض الأمثلة:

فالدول الوردية الكبرى ورغم تقاربها الحديث واصدارها العملة الموحدة «اليورو» فهي ما تزال وستبقى منفصلة في مجال التعليم العالي والتعليم الطبي بالذات نذكر منها فرنسا، بريطانيا، ألمانيا، إيطاليا، إسبانيا... الخ

لا بل الدول الصغرى تفعل نفس الشيء من أمثال بلغاريا التي لا تزيد عن ثمانية ملايين نسمة، وفيها أربع كليات تدرس كلها بالبلغارية ومن أمثال الدول الاسكندنافية كالسويد والنرويج اللتين تدرسان بالسويدية والنرويجية. ومن أمثال تركيا ودول الاتحاد السوفيتي السابقة التي